

## أنوثة الأسطورة في شعر أدونيس

كبرى روشنفكر<sup>١</sup>، خليل پرويني<sup>٢</sup>، كاوه خضري<sup>٣</sup>

١. أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس

٢. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس

٣. طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٧/٥/٣؛ تاريخ القبول: ٢٠١٧/٩/٦)

### الملخص

الأسطورة رواية حقيقية قد وقعت في فجر الزمن وأصبحت نموذجاً لأفعال البشر. فهي ولدت مجهولة وتربت في احضان المسرح الإغريقي. هذا وقد دخل في الشعر السوري المعاصر نصيب وافر من الأسطورة حيث نرى شعراء وظفوا الأسطورة في اشعارهم ومن بينهم أدونيس الذي اهتم بالتراث ومن جملة الأسطورة. أدونيس يريد أن يخرج من الوضع الحالي ويطير إلى ذلك الأفق الواسع تجاه ما يطلب وهذا التحول والتغيير هو الهدف. سبب علاقة شعره بمثل تلك الأساطير ولاسيما علاقته بأنوثة الأسطورة يتصل صلة وثيقة بهذا الهدف. تحاول هذه المقالة من خلال المنهجين: التاريخي والوصفي دراسة تلك الأساطير وتحليلها الأسطورة في شعره. تدل النتائج، قد تظهر الأساطير في اشعاره أمامنا في هيئة المرأة كأساطير البعث والخصب وأساطير الظلة والشهوة والتضحية والإيتار ومن جهة أخرى لا يستخدم أدونيس أنوثة الأسطورة إلا ولديه فكرة وابداع فني. حينما يصور مشاعره في قالب أنوثة الأسطورة، فيقصد إلى خلق عالم أساطيري ابطاله نساء عربيات مزينات بصفات البعث والإخصاب والعطاء والجمال.

### الكلمات الرئيسية

الشعر المعاصر، الرمز، أنوثة الأسطورة، أدونيس.

## مقدمة

لا شك أن توظيف الأسطورة في النص الشعري العربي المعاصر مسألة في غاية الأهمية، فما من شاعر عربي معاصر معروف إلا وقد وظّف الأسطورة في أعماله. إنَّها تشكّل نظاماً خاصاً داخل بنية الخطاب الشعري العربي المعاصر، وقد يبدو هذا النظام عصياً على الضبط والتحديد، وذلك لضبابية الرؤية المراد طرحها، وكثافة الأسطورة نفسها، غموضاً وتداخلاً مع ظواهر أخرى وعندما نستحضر الأسطورة، فإننا نستحضر التاريخ متداخلاً مع الميثولوجيا والخرافة، ولذا فإنّه يصعب علينا تلمس أوجهها كاملةً، وذلك لتناصّها مع الحقول المعرفية الأخرى، التاريخية والميثولوجية والسحرية والخرافية. الأسطورة مظهر من مظاهر التراث وتوظيفها في الشعر المعاصر ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهدف استخدام التراث كما اشترطت الباحثة المصرية بنت الشاطي للأديب أن لا يكون منفصلاً الصلة مع تاريخ شعبه وسنته حتى يستطيع أن يبين ما في ضميره واضحاً جلياً بعيداً عن الغموض. (عبدالرحمن، ١٦٥: ١٩٧٠) وبما أن مسألة بدء العالم والحياة والإنسان كانت من أولى المسائل التي ألحت على العقل البشري والتي تصدى لمعالجتها منذ فجر طفولته. فلا نكاد نجد شعباً من الشعوب إلا ولديه أسطورة أو مجموعة أساطير في الخلق والتكوين وأصول الأشياء. نزولاً إلى العصر الحديث حيث احتلت هذه المسألة الجانب الأكبر من ميتافيزيقيا جميع الفلسفات. (السواح، ٢٧: ١٩٩٦)

أما الأسطورة فهي أنواع، فمنها أسطورة التكوين والأسطورة الطقوسية والأسطورة البطولية والأسطورة التعليلية والأسطورة الرمزية والأساطير الآلهة بهذا المعنى تنقسم الأساطير إلى أنوثة الأسطورة وفي شق آخر أساطير الرجال. هذا ومن جهة أخرى شاهد الأدب طوال التاريخ محاولات تعصبية ضد النساء حيث يكشف حضور العدد القليل من الأساطير المرأة في الآداب اليونانية والعربية في حقيقة هذا الرأي وصدقه نشاهد في الأدب اليوناني الأساطير الأنثوية أو الأساطير التي لديها أعمال في قالب الأعمال النسائية تقتصر في ستة عشر أسطورة، تسعة منهن آلهة (muse) وسبعة منهن بنات اطلسي (pleiads). وهذا النمط أدّى إلى نشأة انعكاسات باسم الحركة النسائية. من هذا المنطلق حاول المنتقدون أن يستفيدوا من التفاسير الجديدة حول أساطير المرأة كمفتاح في الأدب النسائي حتى يردّوا إليها هويتها المفقودة منذ القديم. (حرب، ١٩٩٩: ٩٤)

تهدف هذه المقالة من خلال المنهج التاريخي والتوصيفي إلى بيان أسباب علاقة شعر أدونيس بأنوثة الأسطورة والكشف عن مكانة الأنوثة في شعر أدونيس ومدى علاقة هذه

الظاهرة بالرؤية الأدونيسية وذلك يكون عبر الإتيان بنماذج من أشعاره. ثم نتطرق إلى أنوثة الأسطورة عند أدونيس تبياناً لذلك الإنفعال الذي حملته الثقافات الشرقية والغربية تجاه المرأة طوال التاريخ تجلّت في قلة أساطير المرأة قياساً مع أساطير الرجال وذلك في إطار النقد الهيرمنوطيقي. إنَّ الاسطورة عامل جوهري في حياة الإنسان، من هنا تبرز أهمية الحاجة المعاصرة إلى خلق عالم اسطوري كنتيجة مباشرة لإحساس الفنان الحديث بانعدام القيم الشعرية والفنية في حياتنا الحاضرة بما فيها من ماديّات آليّة. وعلى أساس هذا القول تكمن أهمية هذه الدراسة في تبين رؤية الشاعر حول مفهوم الأنوثة في شكلها الأسطوري ومن ثمّ نتعرّف على جهة من الجهات الفكرية المتعددة عند أدونيس.

أسئلة البحث:

أ) ما هي الأساطير الخاصة بالأنوثة في شعر أدونيس؟

ب) كيف وظّف الشاعر أموثة الأسطورة في شعره؟

فرضيات البحث:

أ) يستخدم أدونيس في شعره جملة من الأساطير، بما فيها أسطورة فينيق، عشتار، تمّوز، ايزيس، اوزيروس واوريديس.

ب) إنّها رمز للبعث والإخصاب والحبّ والعطاء والجمال والإفتنان.

وأما الجديد في هذه المقالة التي نحن على صددّها، دراسة أنوثة الأسطورة في شعر أدونيس حيث حاولنا الكشف عن أسرار استخدام الشاعر لهذه الأساطير وتطلعاته التي جعلته يعتمد على المرأة اعلاناً واهواراً لما يعانيه من الأفكار والآراء. وهذا هو الجانب الجدّة في هذه المقالة.

خلفية البحث:

فيما يتعلّق بالدراسات المختلفة حول شعر أدونيس، هناك حشد كبير من الدراسات، لكننا هنا نشير إلى قسم من هذه الدراسات المتعلقة بالشاعر خاصة الدراسات التي ترتبط بالجانب الأسطوري من شعره.

أطروحة معنونة بـ«بررسي افكار وآثار أدونيس» (١٣٨٢هـ)، كتبها عدنان طهماسبى. والأطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة «طهران». تتألّف

الأطروحة من مقدمة وخمسة فصول. الفصل الأول: أزمة المجتمع العربي، سيرة شخصية، مكونات الشاعر الثقافية. الفصل الثاني: الأبعاد الثقافية والعربية لشعر الحداثة، المذاهب الأدبية. الفصل الثالث: بيان الحداثة عند أدونيس، الكلام عن التجربة الشعرية عند أدونيس. الفصل الرابع: خلاصة عن الصوفية والسريالية، خلاصة المجلد الأول من كتاب الثابت والمتحول، خلاصة الكتاب الثاني، خلاصة الكتاب الثالث. الفص الخامس: من مواقف أدونيس. حاول الباحث في هذه الأطروحة تبين جذور الحداثة، كما قام قدر الاستطاعة أن يكشف عن تأثير الغرب في هذه الظاهرة محاولاً تسليط الضوء على أبرز سمات الغموض في هذه الحركة.

مقالة معنونة بـ«نماد كرابي در شعر أدونيس» (١٣٨٦هـ)، كتبها الدكتور سيد حسين سيدي والمقالة قد طُبعت في العدد الأول من الفصلية المتعلقة بكلية اللغات في جامعة إصفهان. الباحث في تلك المقالة يبين أسباب لجوء الشعراء المعاصرين إلى الرمز كميزة فنية في قول الشعر، علماً بأن أدونيس يعتبر من تلك الشعراء الذين يسميهم الباحث في مقالته بـ«الشعراء المتمردون». وانتشار الرموز في شعر تلك الشعراء يدلُّ على ذلك الجوِّ المخفِّق في المجتمعات التي يعيش فيها الشاعر، والباحث في المقالة هذه يقوم باستعراض تلك الظاهرة الفنية في شعر أدونيس معللاً سبب لجوء الشاعر إلى الرمز عللهم بالإختناق السياسي السائد في المجتمع.

مقالة معنونة بـ«بررسي تطبيقي مسيح عليه السلام در شعر أدونيس وشاملو (١٣٩٠هـ)، د. خليل پرويني، حسين عابدي وغلامحسين غلامحسين زاده. قام الباحثون في هذه المقالة بدراسة رمز المسيح في شعر الشاعرين وذلك يكون في إطار دراسة الرمز في قالب الأسطورة حيث قاموا بمقارنة هذا الرمز في شعر الشاعرين على أساس المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن. أطروحة معنونة بـ«الرمز والأسطورة في شعر أدونيس» (١٣٨٦هـ)، إعداد: رجاء أبوعلي. والأطروحة بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة «العلامة طباطبائي». عنت الباحثة في الباب الأول من الأطروحة بالجانب المفهومي والتكويني والوظيفي للأسطورة، ثمَّ أفردت الفصل الأول منه لمفهوم الأسطورة ودلالته، وخصصت الباحثة الفصل الثاني بالفروق التي ميزت الأسطورة عن سائر الأجناس الأدبية وخاصة الخرافة، كما تعرض الفصل الثالث لنشأة الأسطورة، ثمَّ درس الفصل الرابع وظيفة الأسطورة وتوظيفها باختصار. أما الباب الثاني، فالفصل الأول منه جاء كدراسة تاريخية

ونقدية لظاهرة الغموض في الشعر وأسبابها مع تحليل الآراء القديمة والحديثة التي دارت حولها. عالج الفصل الثاني من هذا الباب نزوع الشعر العربي المعاصر إلى الأسطورة وأسبابه، ولخصَّ الفصل الثالث توظيف الأسطورة في الشعر العربي الحديث. أما الباب الثالث، فقد تناول الفصل الأول منه مصطلح الأسطورة وتلقيه لدى أدونيس بما فيه كيفية التعامل مع الأساطير سلبياً وإيجابياً، وتضمنَّ الفصل الثاني أنواع الأسطورة في شعر أدونيس واكتملت محاور البحث بالفصل الثالث، حيث حاولت الباحثة أن تكتشف فيه الجوانب الدلالية والفنية والإبداعية لنماذج من أساطير أدونيسية.

وفي حقل الأدب المقارن هناك مقالة عنوانها «بررسي تطبيقي اساطير در شعر شاملو وادونيس» مؤلفها سيد فضل الله ميرقادي ومنصوره غلامي وهي دراسة تقارن بين الاساطير الواردة في شعر هذين الشعارين.

### المفاهيم والتعاريف

موضع أدونيس من التراث:

إن الشعر كان من أبطأ النشاطات الإنسانية وقوفاً ضدَّ التراث، أو تنكراً له. بل كان تراثياً إلى حدٍّ بعيد، لا في الأدب العربي وحده بل آداب الأمم الأخرى. يقول احد النقاد المحدثين: «يغدو الأدب أكثر حياة وتتدفق الدماء في عروقه كلما اقترب من الكلام. وحين تضع التقاليد التراثية من الشعر يصبح منقطعاً غير استمراري، كأنه معجم ينثر الأسماء دون علاقات، أو انفجاراً من كلمات غير متوقعة تتطاير هنا وهناك. (عباس، ١٩٧٨: ١١١-١١٣)

مع مجيء عام ١٩٦٣ انقطع صلة أدونيس مع مجلة الشعر. بعد هذا الإنفصال اشتدَّ علاقته وتجاوره مع انجازات الحضارة العربية والإسلامية. وقد طرح آراءً لم يكن مشهوداً من قبل في آثاره. من بين هذه الآراء يمكن الإشارة إلى موقف أدونيس تجاه الميراث العربي-الاسلامي الذي كان فيما قبله يؤكد على الهوية الميراثية العتيقة السورية - الفينيقية. وكان يعتبره ميراثاً محرّكاً ومشوقاً للتضحية والإيثار. وكان يصوّر تلك المضامين في اشعاره الأسطورية. والنقاد العرب كانوا يسمون تلك الأشعار تمّوزياً أو أدونيسياً. وقصدهم من تلك التسمية يعني الشعر المصوّر للأساطير الفينيقية وبلد الشام. (عرب، ١٣٨٣: ١٨)

إن الفرق بين الشعر الكلاسيكي والحديث: أن الشعر الكلاسيكي يبدأ بالفكرة الجاهزة ثمَّ يحاول أن يعبر عنها وأن الشعر الحديث على النقيض من ذلك، انما تكون العلاقات فيه

امتداد للفظ، حتى لكأن اللفظة «عمل» ليس له ماضٍ مباشر. ولو أننا قرأنا شعر أشدّ الثائرين على «لغة القبيلة» أعني أدونيس، لوجدنا أن ذلك الشعر يسقط أحياناً في ذلك أحدهما لأنها أقرب إلى واقعه الاجتماعي أو أنكرهما معاً في بعض الأحيان ولجأ إلى الأسطورة المطلقة اللاتاريخية (أورفيوس، أدونيس، أوزوريس، فينيق، عشتار... إلخ) (عباس، ١٩٨٧: ١١١). ربما هذا هو السبب في أن النقاد قد عابوا على أدونيس تعامله مع التراث حيث أنه يطيل الوقوف عند الجوانب السلبية في تاريخنا حتى لتبدو لهجته رفضاً كلياً لا علاقة كبيرة بينه وبين ذلك الصوت الذي يتجه نحو الاعتدال والذي اقتبسته فيما تقدّم ومن أمثلة ذلك قوله في قصيدته المنشورة (مرثية الأيام الحاضرة) حيث يقول:

« بعيداً تجرُّ المسأة وجه تاريخنا وتاريخنا ذاكراً يتقبحها الرعبُ وسهول من الشوك الوحشي/ وعبثاً يتزحزح الباب الموصد ونصرخ ونحلم بالبكاء ولا دمع في العيون/ وبلادة امرأة من الحمي، جسر للملذّات يعبره القراصنة وتصفّق لهم حشود الرمل» (أدونيس، ١٩٩٦: ج٣، ٢١).

يقول إحسان عباس في هذا المجال: «ولا ريب في أن نظرة أدونيس إلى الماضي متصلة بمبدأي الرفض والتحول المتلازمين وفي إطار نظريته الكلية إلى الزمن يمكن أن تفهم حقيقة موقفه من التراث» (عباس، ١٩٨٧: ١١٧). لكن بما أن أدونيس عبر من عدة أطوار في حياته الشعرية هذا الرأي ليس كاملاً وجامعاً وإن كان فيه شيء من الحقيقة لأن أدونيس في أشعاره قد يفتخر بأجداده وأمجادهم حيث يقول في مقطع عنوانه «مرثية عمر بن الخطاب»: «ويا صديق اليأس والرجا/ الحجر الأخضر فوق النار/ ونحن في انتظار/ موعدك الآتي من السماء» (أدونيس، ١٩٩٦: ج١، ٣٠٨).

هناك تعاريف متعددة للتراث عند النقاد والأدباء وهذا يتعلّق بموضعهم تجاه التراث. بعض منهم يصطبغون التراث بصبغة الدين، وبعضهم يصطبغونه بصبغة القومية وبعضهم يجعلونه ذا لون إنساني. مهما يكن من أمر فهناك وجه مشترك بين تلك الإتجاهات وهو مشهد اجتماعي ومعناه أن للتراث توظيفاً واستخداماً في التجديد والمعرفة والعمل. والتعامل الصحيح مع التراث يتحقّق لنا الأهداف المطلوبة ولكن الوعي في تعامله أمر نسبي وفيه خلاف بين الأدباء والنقاد؛ لأنّ كلُّ منهم يمتلك اتجاهاً خاصاً. (الضاوي، ١٣٨٤: ٢١ و٢٤) أدونيس كشاعرٍ عالمي يستخدم التراث في سبيل الوصال إلى أهدافه الشعرية بصورة ممتازة وقيل إنّه يتعامل بانتقائية مع التراث حيث يقوم بتوظيفه أيديولوجياً لصالح معتقداته وما ينادي به. ([www.tahawolat.com](http://www.tahawolat.com)) تحدث أدونيس

في مواضع كثيرة من كتابه «زمن الشعر» عن التراث ومخلص كلامه: «يجب أن نميز في التراث بين مستويين: الغور والسطح. السطح هنا يمثل الأفكار والمواقف والأشكال أما الغور فيمثل التفجر والتطلع والتغير والثورة، لذلك ليست مسألة الغور أن نتجاوزه، بل أن ننصهر فيه. الشاعر الجديد - إذن - منغرس في تراثه، أي في الغور، لكنه في الوقت ذاته منفصل عنه. إنه متأصل لكنه ممدود في جميع الآفاق. (عباس، ١٩٨٧: ١١٤)

### الأسطورة باعتبارها فناً أدبياً وحكمة

كلمة الأسطورة تشبهه كلمة هستوريا<sup>١</sup> اليونانية، و«تدلان معاً على معنى القصة أو الرواية أو التاريخ» (حرب، ١٩٩٩: ٩٢). يعتقد كيرك أنه لا يوجد تعريف محدد للأسطورة. فكلمة (Mythos) عند الإغريق كانت تعني أحداثاً أو شيئاً منطوقاً وبشكل عام خبراً أو قصة أو حبكة سردية. (شاهين، ١٩٩٦: ١٥) ومن اشعّ التعريفات التي تشيع بين الدارسين في هذا العصر هو تعريف الأسطورة البنيوية الذي تبناه علماء الأنثروبولوجيا ومفاده أن الأسطورة عقلانية تفوق العقل. أما علم النفس، فقد أولى الأسطورة اهتماماً بالغاً. كما يعتقد فرويد بأن الأسطورة ترتبط بنفسية الإنسان الطفولية. (شاهين، ١٩٩٦: ١٦)

إذن الأسطورة (كمصطلح)، كما يقول أحد علماء الآثار: «قصة أو حكاية رمزية بسيطة ومؤثرة، تلخص عوداً لا ينتهي من المواقف المشابهة قليلاً أو كثيراً، وترجم الأسطورة قواعد السلوك عند جماعة اجتماعية معينة أو دينية بعينها، وتنتمي بالتالي إلى العنصر المقدس الذي تكونت حوله هذه الجماعة، والأسطورة لا مؤلف لها، ويتعين أن يكون أصلها غامض، والمعنى أيضاً أن يكون غامضاً كما أن جان كازنوو يعتقد أن منشأ كل الأساطير واحد والأسطورة في الحقيقة انعكاس لأنظمة الفكرية قديماً أو حديثاً» (مجموعة مقالات، ١٣٨٣: ٢) وأقلّ التعاريف نقصاً للأسطورة: الأسطورة تروي تاريخاً مقدساً، تروي حدثاً جرى في الزمن البدئي، الزمن الخيالي، هو زمن «البدايات» (إلياد، ١٩٩١: ١٠).

أما الاتجاه الذي يرى الأسطورة كفن أدبي فينظر لما ترويه الأسطورة، على أنه تراكم إنتاج الفكر الإنساني المبدع في مجال الأدب. فالأمثال الصغيرة التي يرويها حكيم القوم سوف تروى

1. Historia
2. Tale

مرّات ومرّات. ولن يقاوم الراوي رغبته الملحة والمشروعة في الإضافة إليها من عناصر جديدة نابغة من خياله الخاص ومن ظروف اجتماعية مستجدة، تحيط الراوي الجديد. وعندما تأخذ القصة شكلها المكتمل تكون قد عبرت عن طابع فني وفكري وادبي لشعب من الشعوب. إنّ هذا الشكل الفني لا ينفصل عن مضمونه الذي ينحو في غالب الأحيان؛ لأن يكون تأملياً، يقدم للمجتمع نظريات في السلوك والأخلاق والتوجيه الاجتماعي. (السواح، ١٩٩٦: ١٣) عالم الأسطورة ينبوع سخي يساعد الشاعر على إيصال تجربته الحديثة في ثياب قديمة وفي أسلوب درامي. فهو يعبّر عن قضايا شعبه الحالية في إطار روائي جميل ثم من أهم ما يصل بين الشعر والأسطورة هو أنّ الأداة التي ينهضان عليها وينشكلان منها هي الخيال وكلّما صار الخيال عميقاً وبعيداً، صار الشعر خلّاباً وجذاباً. (طهماسبى وشيخي، ٢٠٠٥: ٧١) تقول الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي بصدّد حديثها عن الأسطورة في الشعر الحديث: «أصبحت اللحظة الحضارية مناسبة في أوساط الخمسينيات لاستعمال الشعراء العرب للأسطورة، فعمدوا إليها ليعبروا عن قحط الحياة العربية بعد نكبة ١٩٤٨» (الورقي، ١٩٨٤: ١٤٣).

### أدونيس والأسطورة

يعدّ أدونيس من الشعراء الرواد الذين لعبت الأسطورة دوراً كبيراً في نتاجهم الشعري (عوض، ١٩٧٤: ١١٢). إنّ الطابع الرئيسي في توظيف الأسطورة عند الشعراء يرجع إلى هدف الأساطير. كان التحوّل والتغيير محوراً في الأساطير الشرقية. كذلك التحوّل الذي نراه في طائر اسمه فينيق. احتراقه في النار ثمّ إنبعائه من الرماد في هيئة الطائر الحي هو البيان الأساسي للأسطورة. (عرب، ١٣٨٣: ٢٢) إذا دققنا في أشعار أدونيس نرى أنّه من هواة التحوّل والتغيير ويمكن لنا أن نقول: الهدف الأصلي من توظيف الأسطورة في شعره هو النزعة إلى التغيير كما يقول بعض النقاد: «موضوع التحوّل محور رئيسي في كثير من أعمال أدونيس الشعرية لاسيما في ديوانه مهيار دمشقي والصقر والسماء الثامنة. وذلك لأنّ شعره يتضمّن فكرةً كليةً وهي بناء شيء جديد فوق أيّ شيء منهدم». (عرب، ١٣٨٣: ٢٢) يبدو قضية مقتل أبيه بحادث مفع هي الباعث في توظيفه الأسطورة. كان أدونيس يحب والده إلى درجة التقديس وقد عبّر أدونيس عن فجيعة بموت أبيه في مقطع بعنوان «أغنيات للموت»:

«كأنّه الموت إذا مرّ بي/ يخنقه الصمت،/ كأنّه يموت إن نمتُ،/ يا يد الموت

أطيلي/ علني أكشف كنه المستحيل/ وأرى العالم قربي» (أدونيس، ١٩٩٦: ٤١).



لكن الموت بالنسبة لأدونيس، لم يكن نهاية. فالنار التي احرقت والده قتلت الانسان فيها وخلقت الإله الذي يسكن وراء هذا العالم ويتخطى الحاضر إلى كل زمن مقبل. ويصبح والد أدونيس هو اله الخصب الميت المنبعث الذي يرتبط بموته بموت الحياة في الطبيعة يقول في القصيدة ذاتها:

«على بيتنا، كان يشهق صمت وبيكي سكون/ لأن أبي مات، اجذب حقل وماتت

سنونو» (أدونيس، ١٩٩٦: ج١، ٤٠).

يمكن أن نلخص أهداف أدونيس من توظيف الأسطورة فيما يلي: ١. الضعف الحالي بين الشعوب العربية والقدرة والكبرياء عند الحضارات القديمة وعلى وجه الخصوص سكان منطقة الشام وشاعرنا هذا الذي اخذ لقبه من تلك الأساطير يريد أن يذكر العظمة والجلال وبهذا النمط يقوم بتحرير روحه وضميره من سيطرة الضعف والذلة. ٢. والهدف الثاني من توظيف الأسطورة عند الشاعر هو التمتع بالأركان الفنيّة والجمالية الأسطورية حتى تكون النتيجة اتصالاً بين النزعة القومية والشعبية والإبداع الشعري. (عرب، ١٣٨٣: ٣١) ٣. أن الشاعر العربي اتجه لتوظيف الأساطير في شعره متأثراً بالشعر الغربي، ولا سيما التأثر بشعر إليوت وقصيدته المشهورة "الأرض الليباب" (أبوعي، www.addustour.com).

### موقف أدونيس من الأنوثة

يرى أدونيس أن المرأة أنوثة الكون وأنوثة العالم. أما الذكر فهو الريح العابرة، وبالنسبة للمرأة العربية فيراها أكثر وعياً وحساسية وتقدماً من الرجل العربي وأنه إذا كان هناك من خلل فهو كامن في الرجل وليس في المرأة. فالرجل العربي مريض معقد منهار، قليل الثقة بنفسه يسقط هذا كله على المرأة لذلك يسعى لامتلاكها كي يعوض نقصه فهي بالنسبة له مجرد ملك ومتعة إلّا أن نظرة الرجل إلى المرأة هي التي يجب أن تتغير فالأنثى مرآة الرجل. «الرجل هو الذي يدفع المرأة إلى أن تتصرف تصرفات لا تشبهها، والحرية في مجتمعنا هي نقطة سوداء على المرأة بالنسبة للرجل الذي يبيع لنفسه كل شيء» (elmeda.netle).

فقد ناقش الكاتب عمر كوش في دراسته «الضرورات المتعددة والفضاء المسرحي» البنية الفنية الشعرية والدرامية، واحتفاء أدونيس بالجسد، ليرى من خلال ذلك الرؤية الأعمق

لتمزق المرأة التاريخ وتمزق التاريخ المرأة.<sup>١</sup> أما الناقد سامح كعوش فقد توقف طويلاً عند معنى الأنوثة لدى أدونيس وخاصة في هذا المجال، حيث وجد أن الأنثى هي الكلمة والخلاص بل هي ثابتة ومتحولة. ويتوقف الكاتب محمد فياض عند صورة المرأة التراجيدية لدى أدونيس، إضافة إلى صورة الرجل، والبنية الدرامية وتعدد الأصوات دخل هذا العمل الشعري المسرحي حيث يرى أن توظيف أدونيس للغة الدرامية الإنشادية ساهم في الكشف عن التجربة الداخلية لدى الكائن. وبالعموم فقد تناولت تلك الدراسات هذا العمل من زاويتين زاوية المرأة، الأنوثة، الجسد، وزاوية البنية الفنية الدرامية المسرحية وتعدد الأصوات في الكشف عن جوانب الكائنات الشعرية دون التطرق إلى المرجعية التاريخية المتصلة بقصة أمنا هاجر وسيدنا إبراهيم عليه السلام للوقوف عند بؤرة القراءة التاريخية لدى أدونيس وحيثيات إنتاجية التاريخ الإشكالية. في حوار جميل وممتع مع أدونيس نشرته مجلة الدوحة في عددها الأخير ورداً على سؤال: كيف تتعامل مع المرأة في شعرك؟ يقول أدونيس: «أبني وأكرر مقولة ابن عربي (كل مكان لا يؤنث لا يعول عليه) إنها تلخص كل شيء، مجتمع لا تكون الأنوثة ناره ونوره في آن، هو مجتمع خال، لذلك فإن المرأة بالنسبة لي هواء العالم، مثلما هو الحب والشعر، وأنا أرى في الابداع جواباً أكثر مما أرى في الحب فأنا في أوج عذابي وآلامي وقلقي باحث عن قوة ونافذة خلاص أميل إلى مساعدة المرأة لي فهي مثل اللهب الدافع لكي أجد هذا المنفذ، وأجد هذا الجواب ابداعاً، والمرأة في قلب طريق الابداع ولذلك ليس الحب في ذاته هو الجواب (www.rojavaart.com). كما نرى في هذا النشيد قمة الاحترام والافتخار بالمرأة من جانب أدونيس:

«رماد عائشة/ عائشة جارتنا العجوز مثل قنص معلق/ تومن بالركام والفراغ  
والطُرر/ أهدابها منازل النجوم، كلُّ نجمة خبر/ عائشة تقول إنَّ عمرنا سحابة  
بلا مطر/ عائشة جارتنا النقية/ يحبُّها القريب والبعيد/ عائشة جارتنا، فنيقيا  
الجديد في حياتنا» (أدونيس، ١٩٩٦: ج ٢، ٧٠-٧٤).

الشيء الهام الذي لا بد أن نشير إليه هو أن مستويات النص الشعري مختلف من قارئ إلى آخر وتعدد وفقاً لخبرته وأسلوبه ومنهجه ويمكننا إجمال مستويات القراءة بناءً على معطيات النقد الجديد والبنوية واللسانية وسوى ذلك في ثلاثة أنواع: ١. قراءة الشرح ٢.

قراءة الإسقاط ٣. قراءة التحليل. (الموسى، ١٩٩٩: ٧٧) وهذه القراءات المتنوعة تتناسب مع القراء المختلفة. ففي هذا المقطع يمكن أن نتصور للعائشة دلالت مختلفة. ففي أسهل قراءة نتصور العائشة كأسطورة جديدة يعرضها الشاعر في هذا المقطع، أسطورة الوعي التي تشاهدنا حقيقة الحياة. والحقيقة أعلنت على لسان امرأة وهكذا نصل إلى فكرة الشاعر حول ريادة الأنوثة في الحياة. كما أنه يمكن أن يفهم قارئ آخر هذا المقطع بشكل آخر. إذا أردنا أن نفهم رؤية أدونيس حول مفهوم الأنوثة في شعره، نحتاج إلى قراءة عميقة نجد جذورها في الأساطير والتراث؛ لأن المرأة لم تبق في الشعر الحديث مجرد امرأة، صارت قيمة وبنية داخل لغة القصيدة ولذلك يكون هنا مفتوحاً على الدلالات التي لا تنتهي وتكون القصيدة شبكية في نسيجها الذاتي والموضوعي والاجتماعي والأخلاقي والسياسي. (الموسى، ١٩٩٩: ٧٦) إذا قرأت شعر أدونيس، واجهت بالمرأة فيها عن طريق الأساطير فإن فهمك من شعره يتصل بهدفك من قراءة الشعر وبما أن الأسطورة تأتي من التاريخ العتيق، يلزم للقارئ أن يكون عارفاً بعالم الميثولوجيا، تحتاج قراءة شعره الأسطورية إلى قارئ عالم بتاريخ الأساطير ليصل إلى المستويين الثاني والثالث للقراءة من أشعاره.

#### أنوثة الأسطورة في شعر أدونيس

عالم الأساطير عالمٌ يتشكل من عدة سطوح ومن أجل هذا نشاهد في بعض الأساطير معانٍ متعددة، كما نشاهد في أسطورة فينيق أو أسطورة تموز التي يفسرونها وأمثالها من الأساطير بمعانٍ متضادة، وهذا يدل على تعدد الهوية في بعض الأساطير. (واحدوست، ١٣٨١: ١٣٧) نظراً لهذه الروية في هذا المقال نعتبر أسطورة فينيق وتموز وأوزيريس من جملة أساطير المرأة.

والشيء الآخر الذي لا بد أن نذكره هنا قول سيمون دوبوار كاتبة نسوية فرنسوية ومؤلفة لكتاب (the second sex) فهي تعتقد أن المرأة كأسطورة مصنوعة في ذهن الرجال وأنوثة الأسطورة قد فقدت جوهرها تحت سيطرة تفاسير الرجال طوال التاريخ. وتجديد حياتها لا يمكن إلا في ظلال الأدب النسائي. (مجموعة مقالات، ١٣٨٣: ٢٢٤) هذا ويذهب نفر من علماء ميثولوجيا إلى أن أول الأعمال الأدبية الأسطورية ولدت في المعابد وهيكل الآلهة ويعتقد روبرتسون سميث أن الأساطير القديمة كانت بمثابة الاعتقاد الديني لأن التراث المقدس كان يتخذ شكلاً قصصياً يدور حول الآلهة. (سيد القمني، ١٩٩٩: ٢٩) حتى الآن عرفنا

موقف أدونيس من المرأة ومن وراء كل ما ذكرنا من بواعث توظيف الأسطورة يدلنا أدونيس إلى أن نقف عند الأساطير المرأة في شعره. والأساطير التي أدونيس يعرضها في مفهوم الأنوثة في شعره: فينيق، عشتار، ايزيس، اورفيوس موضوعاً للدراسة في أشعار أدونيس.

### أسطورة فينيق<sup>١</sup>

فينيق هو الطائر الذي يموت بسبب الحرق في النار ويبعث من رماده فينيق جديد وهو رمز للإنبعاث والحياة الجديدة. إذن هذه الأسطورة رمز. يقول في كتابه «زمن الشعر» حول الرمز: «في بعض النتاج الشعري الحديث رمز، لكن في استعماله كثير مما يناقض الرمز، فهو يكاد أن يكون في معظم هذا النتاج مجرد تسمية، مجرد إشارة تاريخية، مجرد لفظ. حين لا ينقلك الرمز بعيداً عن نصّها المباشر، لا يكون رمزاً. الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص. فالرمز هو، قبل كل شيء، معنى خفي وإيحاء. إنّه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة. أنّه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالماً لا حدود له، لذلك هو اضاءة للوجود المعتم، واندفاع صوب الجوهر» (أدونيس، ١٩٨٦: ١٦٠). والحقيقة هي أن ما نسميه الرمز، يتجلّى في أكثر الأحيان في شعر أدونيس في جملة الأسطورة. ومن أجل هذا نعتقد أن فهم الأسطورة في شعر أدونيس يحتاج إلى تحليلها كمجموعة من الرموز. أنوثة الأسطورة في شعر أدونيس لا يخرج عن هذه الرموز. وخير دليل لأثبات هذا المدعا أن في تعريف كل أسطورة نقول أنها رمز لمفاهيم كذا.

وقد ظهرت هذه الأسطورة في شعر أدونيس لأول مرة في قصيدة «البعث والرماد» التي كتبها عام ١٩٥٧. وقد ساعده حادث موت والده احتراقاً والتعلق بهذا الوالد سبب لاكتشاف أسطورة فينيق. (عوض، ١٩٧٤: ١١٣) وهو كثير الاستخدام عند الشاعر. يقول أدونيس في مقطع من قصيدة البعث والرماد» عن أسطورة فينيق:

«تولية البعث/ فينيق، يا فينيق/ يا طائر الحنين والحريق/ يا ريشة... سابعة  
وراءها الظلام والإبريق/ مسافر خُطاك عمر زهرة/ لفتتك انخطافة وناظراك  
منجم/ مسافر زمانك الغد الذي خلقته/ زمانك الغد - الحضور السرمد في  
الغد/ لموعد: به تصير خالقاً، به تصير طينة» (أدونيس، ١٩٩٦: ج٢، ٧٦).

فينيق رمز الإنبعث وبشارة أمل ورمز للتضحية التي في موتها حياة جديدة للناس. يعتبرها أدونيس رمزاً للمعاد والثورة. (ميرقادي وغلامي، ١٣٨٩: ٢٣٦) أدونيس استخدمه في شعره لكي ينبّه البشر بالتغيير في المستقبل ولكن في هيئة أسطورة فينيق وفي هيئة الأنوثة. يعكس هذا المقطع كيفية علاقة الشاعر بالمرأة حيث علاقته بالمرأة هي علاقة كيانية، اذا ما نظرنا إلى الإنسان باعتباره نوعاً من التوق المتواصل إلى معرفة نفسه من جهة وإلى معرفة العالم من جهة أخرى. فبعد الأنوثة يجب ان يكون جوهرياً في فكره وفي سلوكه أيضاً. ولذلك فالمرأة بالنسبة الى الشاعر أكثر من جسد وأكثر من كونها رفيقة حياة، هي تمثل العمق الذي يبحث عنه باستمرار في الكون، وفي الوجود، كما لو كانت غيباً متجسداً. وهذا الغيب المتجسد، يظل غيباً يحثك على بحث متواصل لكي تلمسه أو تصل اليه. وكلما وصلت أو خُيل إليك أنك وصلت، تكتشف أنك ما تزال على مسافة بعيدة من الجوهر الاساس. وبهذا المعنى يقال شعبياً ان المرأة لا تفهم. فالمرأة لا تفهم بالمعنى العميق، لا لصفاتنا التي تطلق عليها وانما لطبيعتها وجودها وطبيعتها ما تمثله في العالم. هي جزء من سر العالم الذي يظل سراً لحسن الحظ. تصور لو أننا وصلنا فعلياً للمعرفة الكاملة والنهائية لهذا الجسد او هذه الأنوثة، لكان العالم ينتهي. ولحسن الحظ، لا الإنسان الذكر يعرف نفسه، ولا يعرف الأنوثة أيضاً. فهذه من المحرضات الأساسية من أجل أن يظل الوجود في حركة دائمة، ويظل الإنسان تواقاً إلى اكتشاف العالم. واذا هبطنا من هذا المستوى النظري المبدئي، إلى مستوى الحياة اليومية، فكل شيء يظهر عندنا خاطئاً. وفي رأينا هذا التفسير يصدق على هذا المقطع حول فينيق وما يقصد إليه أدونيس في حديثه عن فينيق.

في مقطع «حلم» من قصيدة «البعث والرماد» نشاهد صورة أخرى من طائر الفينيق. يرى الشاعر نفسه في هيئة الفينيق الذي سيحرق حتى ينبعث من رماده فينيقاً آخر بهوية أخرى. (سيدي، ١٣٨٦: ٤١) ومعنى هذه الهوية هو أن أدونيس يتحد مع هوية الفينيق يعني المرأة. يقول في مقطع آخر:

«احلم أن في يدي جمرة/ آتية على جناح الطائر/ من افق مغامر/ اشم فيها  
لهباً/ قرطاجة العصور/ ألمح فيها امرأة/ يقال صار شعرها سفينة ألمح فيها امرأة  
ذبيحة المصير» (سيدي، ١٣٨٦: ٦٧).

في الحقيقة حين يتخيل أدونيس بأن في يديه جمرة يصور تلك الميزة الماهوية للطائر الفينيق وفي ضمنه يتذكر ذكرى إحراق مدينة القرطاجة وصورة النساء اللاتي يقمن بنسيج الحبل من شعرهن لسفينة رجالهن. وهكذا في هذا المقطع يتسلل أدونيس النساء. (عرب، ١٣٨٣: ٤٠)

عشتار<sup>١</sup>

اسم بابلي ومعناها حياة الأرض. هي الأم الكبرى وآلهة الحب والخصب. عشتار كبيرة آلهات ما بين النهرين التي تميزت بشخصية معقدة ومتناقضة، وفي الوقت نفسه فهي آلهة الحرب والمعارك والحب، عشقت جلجامش، إلا أنه رفض حبها فغضبت غضباً شديداً. عشتار شابة ممتلئة الجسم، يتوقّر فيها، إلى جانب جمالها الأخاذ، سمو الروح، مع رهافة الطبع، وقوة العاطفة، والحنو على الشيوخ والأطفال والنساء. في فمها يكمن سر الحياة، ومن أعطافها يعبق العطر والشذا. يكتمل بحضورها السرور، ويشيع مع ابتسامتها الأمن والطمأنينة في النفوس. غالباً ما نشاهدها وهي تجوب الحقول بخفة ورشاقة، فتتفجر الينابيع خلفها بالماء والعطاء، وتزهو الأرض بالسنابل والنماء. كل ما يقال حول عشتار رموز لنمو الأعشاب أو لجفافها. تلك الأسطورة الأنوثة رمز للعلاقة التاريخية بين الفلاحة والمرأة. عندما كانت الفلاحة صورة أصلية للحياة، آلهة النمو الأعشاب كانت مقدّمة على سائر الأساطير. (دورانت، ١٣٨٩: ٩)

من بين القصص المختلفة حول عشتار، أدونيس ينتخب قصة هبوطها إلى العالم الأسفل ثم كونها مسجونة واخيراً حرّيتها. رجوعها إلى الأرض يكون سبباً للخصب والإخضرار. أدونيس ينادي عشتار ويريد منها أن تظهر وتزيل الغبار. (ميرقادي وغلّامي، ١٣٨٩: ٢٢٨)

«رقصت بين جفوني الخائفة/ جثة الليل وحرّبا المدينة/ فتقنعت بعشتار

الجزينة/ ورسمت العاصفة» (أدونيس، ١٩٩٦، ج ١، ١٨).

المشهد السائد في هذا المقطع هو العدول عن المعنى الأصلي لعشتار، وإن بقيت فيها الواقع الأسطوري. أدونيس وظف هذه الأسطورة في شعره ويصوّرها محزونة بما أنّها لم تستطع أن تعطي البشر شيئاً في ذلك الجو المضطرب. (عرب، ١٣٨٣: ٤٣). وهكذا يأتي أدونيس للعشتار مفهوماً جديداً منبثقاً من أسطورة الفينيقي:

«يا شعر هبه أن يغني مع اليأس/ ويعتاد على النهار/ أطفأت البذور في أرضه/

شموعها، واحتترقت عشتار» (أدونيس، ١٩٩٦: ج ١، ٨٩).

هذا المقطع يدلّ على التباسات المختلفة من الأساطير عند الشاعر حيث أنّه يأتي بمفهوم جديد لعشتار واعتبرها كفينيقي. احرقها النار وسينبعثت من رمادها عشتاراً جديداً. يقول الشاعر في قصيدة «جنازة امرأة»:

«صوت المرأة السمراء (داخل القبة): في كلمة/ أشعل تحت شقفها حريقي/ أبدأ  
تحت سقفها طريقي/ مسنونة كالرمح/ سميتها الفجعية/ اسكن... حتى تنزف  
الطبيعة/ في جسدي كالجرح/ كالموت نسل الزمن الصديق» (أدونيس، ١٩٩٦: ج ٢، ١٣٦).

وهكذا تهبط عشتار إلى الأرض حتى يحرق الأرواح فيصبحون رماداً ومن هنا يجدون  
طريقهم للحياة الجديدة. في الحقيقة هذا التعبير يعبر عن رأى أدونيس حول الحياة.  
(عرب، ١٣٨٣: ٤٤) وينعكس في قالب الكلمات ما هو دور المرأة. أدونيس متفائل بالقدرة عند  
عشتار ويرجو الإنبعث والحياة منها. عشتار عند أدونيس أسطورة في هيكل امرأة تصطبغ  
بصبغة الإيثار ومن أجل نجات زوجها تجعل نفسها هدفاً لأنواع المشقات والمشاكل وتذهب  
للعالم الأسفل. إن هبوط عشتار تأكيد لحق الأنوثة ودورها في مجتمع يتجه نحو «الابوية»  
المطلقة في مظاهره العامة المعلنة ولكنه مع ذلك يحتوي في صميمه على تلك العناصر  
«الامومية» التي تؤكد نفسها بشكل لاشعوري في قالب من أكثر القوالب تعبيراً عن لاشعور  
الفرد والجماعة الا وهي الأسطورة. عشتار في مخيلة أدونيس أسطورة كالفينيقي قد دخلت  
إلى ساحة الموت حتى تحيي من جديد وفي جملة عشتار رمز من رموز الحب والإنبعث  
والخصب والحياة:

«الحب صبية... الحب جناح/ جاء اليوم إلينا/ دخل المسرح، غنى، باح/ كان  
المشهد غصناً يورق/ غني... راح/ في عربات النار... وغداً يأتينا... كالوجه...  
فضاءً مفتوحاً... كالموت ستار» (أدونيس، ١٩٩٦، ج ٢/١٣٧).

يفهم من ذلك أن الرجال والنساء قد تباعدوا جنسياً. فعشتار هي القوة الإخصابية  
الفاعلة في الإنسان والنبات قد غابت عن الوجود وغابت معها كل مظاهر الإخصاب التي  
تعكسها في الحياة. تلك التعابير يعرفنا بأن العشتار ليست آلهة الحب والخصب فحسب بل  
أنها ثورة نسائية شديدة ضد الوقائع المرفوضة من قبلها. يبدو أن الشاعر من خلال شعره  
يريد أن يهدم تلك النظرة الخاطئة لفهم الأنوثة في الثقافة العربية، نظرة دونية ونظرة  
تعتبر مجرد إنتاج للتناسل فقط. من أجل ذلك أصبح كل ما يتعلق بالمرأة مشوها او مكانا  
للخطيئة كأن جسد المرأة واسطة للخطيئة ومكان لهذه الخطيئة. يبدو أن الشاعر يرفض  
هذه الثقافة بشكل يعرض فيه المرأة في هيكل الأسطورة.

إيزيس<sup>١</sup>

هي الآلهة الكبيرة في الأديان القديمة ومن آلهات مصر المعروفة. لها قدرة فائقة في السحر. يرونها المصريون في نجم شعري تظهر قبل طلوع الشمس. (ميرقادري وغلامي، ١٣٨٩: ٢٢٩) وكان يرمز لها بامرأة علي حاجب جبين قرص القمر، عبدها المصريون القدماء والبطالمة والرومان. صارت إيزيس شخصية بارزة في مجموعة الآلهة المصرية بسبب أسطورة أوزوريس. كانت إيزيس شقيقة ذلك الإله وزوجته. واستعادت جثته بعد أن قتله ست. وبمساعدة نفتيس وتحوت أعادت إليه الحياة بعد رحيله إلى حياة جديدة محدودة في العالم الآخر، ربت ابنها حورس الذي أنجبته من زوجها الراحل أوزوريس في أجمة مستنقعات خيميس بالدلتا. وقد كان خيال عامة الشعب مغرماً بتأمل صورة الأم التي أخفت نفسها في مستنقعات الدلتا التي قامت فيها بتربية حورس طفلها حتى إذا (ما شب واشتد ساعده) صار قادراً على الانتقام من قاتل أبيه ست. كانت إيزيس أشهر الربوات المصريات جميعاً وكانت مثال الزوجة الوفية حتى بعد وفاة زوجها، والأم المخلصة لولدها. امتدت عبادة إيزيس في عهد البطالمة واليونان إلى ما بعد حدود مصر، وكان لها معابدها وكهنتها وأعيادها وأسرارها الدينية في كافة أنحاء العالم الروماني حيث صارت تمثل ربة الكون: أنا أم الطبيعة كلها، وسيدة جميع العناصر، ومنشأ الزمن وأصله، والربة العليا، أحكم ذرا السماء ونسمات البحر الخيرة وسكون الجحيم المقفر. (هارت، ١٣٧٤: ٥١) أدونيس يعتقد بأنها تمتلك قدرة في الحب والغرام والعطاء:

«اترك لايزيس أن تفتح قميصك أيها الوقت/ اترك لاصابعها أن ترتق هواءك

الذي تفتق اطرافه وادخلني في طقوسك/ نحن شببهان في الإثم/ الشهوة محيط

والجسد أكثر ممّا يطيق الكلام/ وما هو فضا سحر إلا بيض» (أدونيس، ١٩٩٦: ٤٢٠).

يريد أدونيس أن يأتي بنفسه إلى اصابع إيزيس الساحرة حتى يدخل زماناً لا يتناهي ويرتبط بالعالم القدسي ويريد أن يرجع إلى الخلقة الأولية حتى يكون مسهماً في تطورات الكون والحياة كما أن الأم تحتفظ ولدها الذي يعيش في بداية حياته، أو عندما يقول «اترك لأصابعها...» يخيلُ إلينا أن الشاعر يترك الزمان مشرداً في يد إيزيس آمناً بقدرتها في إدارة الأمور لأن إيزيس سيدة جميع العناصر وهي تحفظ الكون الذي جمع فيه الأثم والألم. كأن



الشاعر يعتمد في توظيف هذه الأسطورة في شعره إلى نقاط عدّة، منها يريد أن يعلن أن الأنوثة هي العنصر المفقودة في الحياة، إذا أردنا أن نعيد الحيوية والجولان إلى ساحة الحياة، فعلينا أن نتغير الرؤية التي لا تتجاوز إلا حدود الجسد، وعليه، علينا أن نؤمن بقدرة الأنوثة في فاعلية الحياة. ومن جهة أخرى يبدو أن الشاعر دائماً يدعو المتلقي إلى التنبه بالنسبة إلى فهم مفهوم الأنوثة لأنها جزء من سرّ هذا العالم وهذا الفهم في أساسه بُني على أساس البعد المعرفي ومن هنا يدخل إلى المفاهيم الصوفية حول كشف العالم، و«المكاشفة، لغة: مصدر كاشف، وهي الإظهار والمبادأة والأصل فيها الكشف. والمكاشفة ههنا: شهود الأعيان، وما فيها من الأحوال في عين الحق، فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية. وصورته في البدايات: الإيمان بحقائق الأسماء الإلهية» (الكاشاني، ١٩٩٢: ٢٤٥). هذا الكشف يحتاج إلى المعرفة ومن شروط المعرفة كما يقول أدونيس: «أن نعترف بأنّ الانسان محدود الفهم. بأنّ المعاني لا يمكن أن تكون كلّها واضحة، مادام الانسان نفسه لم يفهم نفسه، ومن لا يعرف نفسه المعرفة كلّها، لن يعرف أي شيء» (أدونيس، ١٩٨٦: ١٦٦). إذن كلّ شيء في هذا العالم يكشف طريقه بنفسه، فأنت تستطيع أن ترشد الآخرين إلى الخير والمعروف، ولكن هل في هذا الإرشاد ضمان للتفويض؟ لا. إذن كلّ شيء عندنا ينحت صدره بيده، جملة قال أدونيس لتبيين صعوبة الكشف عند البشر، صعوبة كشف المجهول. يتحمّل كلّ هذه الصعوبات وهو محبّب وواضح أنّ الحب هو تلك القوة التي تسهل للإنسان تحمّل الصعوبات.

### اورفيوس<sup>١</sup>

هي زوجة اورفيس اليونانية فكانت جميلة للغاية ولا يطال زواجها مع اورفيوس حيث تموت مساعداً لزوجها، الذي يهبط من السماء إلى الأرض. في الحقيقة أدونيس لا يتحدث مباشرة عن هذه الأسطورة بل حينما نقرأ قصة هبوط زوجها إلى الأرض، يتشكل في الأذهان صورة جميلة للحبيبة التي من أجلها تحمّل اورفيوس النجي تلك المشقّات. في هذا المقطع نشاهد مشهداً ممّا تحمّل اورفيوس:

«اورفيوس النجي الكليم / لأساطير حبي / للسفر المر في غيب الدلالة»

(أدونيس، ٢٠٠٥: ٨١).

إنَّ آلهة الحب تظهر في شعره في صورة المرأة الخالقة التي يشاركها أدونيس في خلقها وجعلها معشوقة أورفيوس فيبينُ الشاعر افكاره بواسطتها وهذا هو التوظيف الذي أشرنا بأنَّها غير مباشر. (ميرقادري وغلامي، ١٣٨٩: ٢٣٠) جاء في أساطير اليونان أنَّ رنَّات أوتار أورفيوس الموسيقي حرَّكت قلب الحيوان فاتبعته الضواري، والنبات، وفمدتَّ نحوه الأزهار أعناقها. وقالوا فقد أورفيوس زوجته، فبكأها ورثاها نادياً حتى ملأت نعمة لوعته البرية، فبكت الطبيعة لبكائه حتَّى حنَّت قلوب الآلهة، ففتحت له أبواب الأبدية كي يلتقي حبيبته في عالم الأرواح. (جبران، ٢٠١٠: ٢٣) إنَّ الصورة التي يصورها أدونيس من أورفيوس تعكسُ هذه القدسية التي يعطيها إلى الأنوثة بسبب دورها الفعال في إعطاء الحياة حيوية جديدة. إذن الوجة المشترك فيما يتعلَّق بأنوثة الأسطورة في شعر أدونيس هو أنَّ كلها تدور حول مفهوم واحدة ونسميه «التغيير». أورفيوس هنا هي الناجية. نعرف أنَّ قطبي العالم، هما الذكورة والأنوثة ولكن ابطال العالم هم على الدوام من الذكور. الأنوثة هي القطب الاساسي في هذا الوجود باعتبار ان قطب الذكورة ليس موجوداً إلا بهذه الوحدة بين الذكورة والأنوثة. واول من نبه لأهمية الانوثة في تاريخنا المكتوب هم المتصوفون، وبشكل خاص محيي الدين بن عربي، إذ يقول: «لكي يصل الانسان الى المطلق، أي الى الله، لا بد له من أن يمرَّ بالأنوثة». وهذا يعني ان الأنوثة هي طريق الانسان إلى المطلق. نستطيع أن نقول تبعاً لذلك، أن الأنوثة هي الطريق إلى النفس. فلكي نجد نفسنا، لا بد لنا أن نمر او نعيش في الأنوثة. ولذلك فإن الوجود دائماً حسب ابن عربي يتجسد في قوله «كل مكان لا يؤنث لا يعول عليه» (الخير، ٢٠١٠: ٥). بناء على ذلك، فالرجل نفسه او الذكورة لا بد ان تكون ملقحة بالانوثة. والانوثة لا بد ان تكون ملقحة بشيء من الذكورة، لأن هناك وحدة أساسية بين هذين القطبين. للأسف، تم فصل هذه الوحدة ونظر إلى المرأة بوصفها كائناً مستقلاً، عن الرجل الذكر، وفي موقع دوني. كأن الروح حلت محل الرجل وكأن الجسد صار هو المرأة. وبهذا المعنى همشت المرأة، وبدل أن تظل قطباً أساسياً مثل الرجل، صارت موضوعاً، بل وشيئاً من الأشياء، تستخدم كما تستخدم الأشياء الأخرى.

## النتائج

- تتمتع أنوثة الأسطورة بمكانة بارزة في شعر أدونيس وهذا تدلُّ على رويته الإيجابية تجاه المرأة خلافاً لما يقال بأن أدونيس لا يرى من المرأة إلّا بُعدها الجسمي. هنا رأينا بأنّه يصف المرأة بصفات حسنة وهي الإيثار والخصب والحب والتضحية.
- جاءت جميع الأساطير المرأة في شعر أدونيس كرمز للبعث والإخصاب ماعدا ايزيس واوريديس. فايزيس عند أدونيس ربّ الحب والعطاء واوريديس مظهر الجمال والافتتان.
- عالم الشاعر عالم الأنوثة وفيه خصائص من الأنوثة كثيرة إذ يلتقي أدونيس مع مفهوم الأنوثة في بذله الجهدَ مثلما تفعل أنوثة الأسطورة في إنتاجه الشعري لتتغير الحياة وتتحول الدنيا إلى مكان يجمل ويسهل فيها الحياة وتصحح العلاقات بين الناس. بعبارة أخرى ليست هذه الأنوثة سوى ما خلقه أدونيس.
- الغرض من توظيف الأسطورة ومن جملتها أنوثة الأسطورة يختلف اختلافاً تاماً من تعريفها حين يلجأ الشاعر إلى الأسطورة كي يستفيد منها لجمالية النص الشعري حيث لا يستخدم أدونيس أنوثة الأسطورة إلّا ولديه فكرة وابداع فني. حينما يصوّر مشاعره في قالب الأساطير ولاسيما المرأة منها فيقصد إلى خلق عالم أساطيري ابطاله نساء عربيات مزينات بصفات البعث والإخصاب والعطاء والجمال. فلا شك أنّه من الممتازين لقدرته الفائقة في استخدام أساطير المرأة.
- يدعو أدونيس المرأة العربية من خلال استدعاء الأساطير كجزءٍ من المجتمع العربي إلى الوعي ومن أجل ذلك يأتي بنماذج من الأساطير القديمة ذات صلة بثقافة العربية الفخمة حتّى يكون هذا الأمر تغطية للوضع الحالي والمشاكل التي يعاني منها المجتمع.
- يبدو أن الأدب النسائي أو الأدب الذي يدور قضاياها حول المرأة تقدّم في الأدب العربي وهذا هو ما يردن المهتمات بالقضايا النسائية. والأدب الأسطوري هو المجال المسنّح لحضور المرأة حتى تستطيع المرأة أن تصل إلى ما كان حقّها وهما العدالة والحرية.

## المصادر والمراجع

١. أبوعلوي، رجاء (٢٠٠٩م). سواقي الغموض «الأسطورة في شعر أدونيس». تاريخ تنزيل المطلب من الموقع: ١٦/٠٨/١٣٩٠، <http://www.addustour.com/15593>
٢. أدونيس (١٩٨٦م). زمن الشعر. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
٣. — (١٩٩٦م). الأعمال الشعرية الكاملة. ثلاثة مجلدات، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر.
٤. — (٢٠٠٥م). تنبأ أيها الأعمى. بيروت: دار الساقى.
٥. — (٢٠١١م). «لا أقرأ الشعر إلا عندما يكون الإصغاء نوعاً من الخشوع». تاريخ أخذ الموضوع من الموقع: ١٦/٠٨/١٣٩٢، <http://elmeda.net/spip.php?article506>
٦. أدونيس والمرأة: <http://www.rojavaart.com/vb/6583.html>
٧. إياد، ميرسا (١٩٩١م). مظاهر الأسطورة. ترجمة نهاد خياطة، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر.
٨. التراث وأدونيس: <http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?rticle=181>
٩. جبران، خليل جبران (٢٠١٠م). الأعمال الكاملة العربية. تقديم نزار بريك هندي، دمشق: دار مؤسسة رسلان.
١٠. حرب، طلال (١٩٩٩م). أولية النص (نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
١١. الخير، هاني (٢٠١٠م). أدونيس شاعر الدهشة وكثافة الكلمة. دمشق: دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع.
١٢. دورانت، ويل؛ أريل، دورانت (١٣٨٩ش). دين در تاريخ تمدن. تدوين علي فتحي لقمان، ط ٢، شيراز: أوند انديشه.
١٣. زكي، أحمد كمال. الأساطير في الشعر المعاصر، <http://www.noormags.com>
١٤. السواح، فراس (١٩٩٦م). مغامرة العقل الأولى «دراسة في الأسطورة: سورية وبلاد الرافدين». ط ١١، دمشق: دار علاء الدين.
١٥. سيدي، سيدحسن (١٣٨٦ش). نمادگرایی در شعر أدونيس. زبان «فصلنامه دانشكده زبانهاي خارجي دانشگاه اصفهان»، العدد ١.
١٦. شاهين، محمد (١٩٩٦م). الأدب والأسطورة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٧. طهماسبي، عدنان؛ عليرضا شيخي (٢٠٠٥م). الأسطورة عند شعراء مصر المعاصرين. مجلة اللغة العربية وآدابها، ١ (٢).
١٨. عباس، احسان (١٩٧٨م). اتجاهات الشعر العربي المعاصر. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
١٩. عبدالرحمن، عائشة (١٩٧٠م). قيم جديدة للأدب القديم والمعاصر. بيروت: دار المعارف.
٢٠. عرب، عباس (١٣٨٣ش). أدونيس در عرصه شعر ونقد معاصر عرب. مشهد: انتشارات دانشگاه فردوسي.
٢١. عوض، ريتا (١٩٧٤م). اسطورة الموت والإنبعث في الشعر العربي الحديث. رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في الجامعة الأميركية في بيروت.
٢٢. القمني، سيد (١٩٩٦م). الأسطورة والتراث. ط ١٣، القاهرة: المركز المصري لبحوث الحضارة (تحت التأسيس).
٢٣. الكاشاني، عبدالرزاق (١٩٩٢م). اصطلاحات الصوفية. القاهرة: دار المنار.
٢٤. مجموعة مقالات (١٣٨٣ش). اسطوره وادبيات. طهران: سمت.
٢٥. موسى، خليل (١٩٩٩). النصّ الشعري ومستويات القراءة. المعرفة «مجلة ثقافية شهرية». ٣٨ (٤٢٨).
٢٦. ميرقادري، سيد فضل الله؛ غلامي، منصوره (١٣٨٩ش). بررسي تطبيقي اساطير در شعر شاملو وأدونيس. فصلنامه لسان مبین «دراسات الأدب العربي»، علمية محكمة.
٢٧. واحد دوست، مهوش (١٣٨١ش). رويكردهاي علمي به اسطوره شناسي. طهران: سروش.
٢٨. الورقي، سعيد (١٩٨٤م). لغة الشعر العربي الحديث. ط ٣، بيروت: دار النهضة العربية.
٢٩. هارت، جرج (١٣٧٤ش). اسطوره هاي مصري. ترجمة عباس مخبر، طهران: نشر مركز.